

# هل الفلسطينيون اليوم هم نسل الفلسطينيون في العهد القديم؟

## دراسة كتابية و تاريخية

بقلم : ديفيد اديب<sup>1</sup>

معظم كتاباتي تتركز على مواضيع تتعلق بالكتاب المقدس وتفسيره . ولكن ، في ذكرى الشهداء (Memorial Day) ، قررت أن أكتب شيئاً مختلفاً قليلاً — شيئاً شخصياً أكثر .

وصلت إلى الولايات المتحدة قبل 25 سنة بالتمام — في 26 مايو ، 2000 . لم أكن أعرف ما هو الـ Memorial Day أو لماذا هو مهم جداً في أمريكا . لقد هاجرت عائلتي وأنا بطريقة قانونية إلى الولايات المتحدة ، مدفوعين بالأمل ، نلتمس ملجأً في ما كنا نؤمن أنه "أرض الحرية" ، حيث يسود العدل والقيم اليهودية-المسيحية . باختصار ، كانت أمريكا أكثر من مجرد دولة ؛ كانت وعداً ، وحلماً .

### الحياة في الشرق الأوسط

لقد عشت لسنوات عديدة تحت وطأة أنظمة إسلامية قمعية ، حيث لم تكن هويتي المسيحية مجرد أمر هامشي — بل كانت تُستهزأ وتُقصى . من سن التاسعة حتى السادسة عشرة ، عشت في ليبيا تحت نظام معمر القذافي القمعي . كصبي مسيحي في ظل ديكتاتورية إسلامية ، تعرفت سريعاً على معنى أن يُستهزأ بك ، ويُستهدفك الآخرون ، ويُهمشك المجتمع . كان مجرد اسمي — اسم مسيحي — كافياً لجلب السخرية والاحتقار من الزملاء والمعلمين على حد سواء . كان كل يوم دراسي يأتي محملاً بتوقعات للإهانة أو التحقير — ليس بسبب أي شيء فعلته ، بل فقط لأنني أحمل اسم المسيح . وقد تحملت ذلك الثقل كمراهق في صمت .

عندما أنهيت المرحلة الثانوية ، عدتُ إلى مصر . لم يكن الوضع هناك مختلفاً كثيراً . أثناء إقامتي في ليبيا ، كنت أخاف لكوني مسيحياً أجنبياً ؛ وفي مصر ، واجهت التمييز كمسيحي ابن البلد! بعد بضع سنوات في مصر ، تم اختيار عائلتي عن طريق الهجرة العشوائية للحصول على الـ Green Card . عندها فُتح باب الفرصة ، وبدأ حلم القدوم إلى الولايات المتحدة يتحول إلى واقع .

<sup>1</sup> اضغط هنا لتقرأ المقال الاصيلي و الذي تم نشره باللغة الانجليزية .

## من الأمل إلى الواقع : أيامي الأولى في أمريكا

وهكذا أتينا إلى أمريكا . كانت محطتنا الأولى كعائلة في إحدى ضواحي شيكاغو السكنية . وبعد وصولي ، تعلمت معنى الـ **Memorial Day** . بدا توقيت مجيئنا إلى هذه البلاد رمزياً للغاية! ففي الوقت الذي كان فيه الأمريكيون يحيون ذكرى من قدموا حياتهم من أجل الحرية ، كنت أنا أخطو على التراب الأمريكي للمرة الأولى ، تاركاً خلفي حياة اتسمت بالاضطهاد الديني والحكم الاستبدادي . أتيت مليئاً بالأمل والامتنان . وكنت أعتقد أنني قد وصلت أخيراً إلى أرض ضحى فيها آخرون لكي أنعم انا وغيري بشيء لم أكن أعرفه حقاً من قبل — الحرية .

كنت في العشرين من عمري ، وأولويتي كانت العثور على جامعة ذات سمعة طيبة لأكمل بها دراستي في الهندسة ، التي كنت قد بدأتها قبل مغادرتي مصر . ولذلك التحقت بـ **University of Illinois at Chicago** (UIC) . وهناك ، صادفت شيئاً مزعجاً — التعليم الجامعي الأمريكي .

## اول صدمة : التعليم الجامعي

عندما بدأت الدراسة في UIC في الفصل الصيفي لعام 2000 ، اخترت مادة اختيارية بعنوان "الكتابة الإنشائية الإنجليزية" (English Composition) . ظننت أنه سيكون شيء ممتع أن أدرس الإنشاء باللغة الإنجليزية في جامعة أمريكية (أخيراً!) . من ضمن القراءات المطلوبة في هذه المادة كانت مقالة برتراند راسل "لماذا لست مسيحياً" — وهي مقالة معروفة تنتقد وتفند أسس الإيمان المسيحي . كمهاجر جديد ، لا سيما كمسيحي هارب من الاضطهاد ، تساءلتُ : لماذا يتم طرح مقالة بهذا العنوان للنقاش في جامعة عامة ، تمول من ضرائب المواطنين ، في بلد يتفاخر بفصل الدين عن الدولة؟ مجرد اختيار هذا النص كان مملوءاً بالمعاني ، لكنه لم يكن أكثر ما أزعجني .

طُلب منا كتابة مقالة للتعليق على مقالة راسل . فكتبت بدوري مقالاً بعنوان "لماذا أنا مسيحي" — كان تأملاً صادقاً في رحلتي الشخصية ، كتبها شاب عاش بنفسه ثمن التمسك بالإيمان المسيحي . لم تكن جدلية هجومية ، بل تأمل شخصي عميق — شهادة لماذا اخترت أنا ، الشاب القادم من عائلة مسيحية في بلد مسلم ، وقد رأيت ظلمة الاضطهاد الديني ، أن أتبع المسيح . كنت أمارس حقي في التفكير والإيمان — وهو أمر كنت أظن أنه في صميم القيم الأمريكية .

لكن أستاذي لم يُعجب بمقالي . استدعاني لمكتبه لحوار فردي — تحول إلى محاولة غير مباشرة (أو ربما مباشرة!) لهدم إيماني المسيحي . أي شخص يعرفني سيقول لك إن من الصعب جداً أن يغلبني أحد في نقاش ، خاصة إن تعلق الأمر بالإيمان المسيحي أو الكتاب المقدس . وبالطبع ، لم يتمكن أستاذي من الفوز بتلك المناقشة . عليك ان تتذكر أنني كنت شاباً في العشرين من عمري أجادل أستاذ جامعة يكبرني بخمسة عشر أو عشرين سنة على الأقل .

كان هذا الأستاذ أمريكياً من اسرة متوسطة مادياً . وخلال حديثنا ، لفتت نظري عبارتان قالهما . الأولى : أنه كان يستعد للهجرة إلى الصين . استغربت الأمر ، خاصة وأنني قد انتقلت للتو إلى الولايات المتحدة . وتساءلت : لماذا يترك شخص ما أرض الحرية ليذهب إلى بلد استبدادي؟ إلا إذا كان يظن أن الحرية وهم أو عبء! فسألته عن السبب . وكان رده صادماً — وهو عبارته الثانية التي فاجأتني :

قال : ”لا يوجد شيء مميز في هذا البلد .“

كانت هذه الكلمات صادمة . بالكاد كنت قد فتحت حقائبي . أتيت مؤمناً أنني أقف الآن على أرض مقدسة — أرض تسود فيها الحرية ، وينمو فيها الإيمان ، وتشكل فيها القيم المسيحية . وها هو أستاذ ، لم يذق يوماً مرارة الاضطهاد ، يجعلنا نقرأ كتابات راسل ، ويقول لي إن أمريكا ليست مميزة . ثم مضى يقول إن ما جئت أبحث عنه في أمريكا ليس سوى سراب ، وأن القيم الأمريكية مجرد واجهة خادعة . خرجت من مكتبه وأنا أفكر : إما أن هذا الأستاذ واهم ، أو أنني ارتكبت أكبر خطأ في حياتي بالمجيء إلى أمريكا! ولكنني كنت قد أتيت مع عائلتي ، فبقيت ، آملاً في حياة أفضل . وها أنا اليوم ، بعد خمسة وعشرين عاماً لا ازال هنا!

ولكن هنا بدأت أعني شيئاً مزعجاً : التآكل الفكري الذي كنت أظن أنني تركته خلفي في مصر كان موجوداً هنا أيضاً ، ولكن بشكل أكثر خفاءً وخداعاً .

## التآكل البطيء للحقيقة

ما واجهته في UIC لم يكن حالة فردية ، ولا أمراً عديم الأهمية . لم أكن حينها قادراً على إدراك أبعاده ، ولا كنت كمهاجر جديد أفهم معناه الحقيقي . لكن اليوم ، بعد مرور خمسة وعشرين عاماً ، أسترجع تلك اللحظة وأدرك أنها كانت تحمل دلالات أعمق مما تصورت .

مؤخراً ، ازداد العنف والكراهية في جامعات أمريكا ، لا سيما تجاه المجتمع اليهودي . معظم هذه الأفعال تُرتكب علناً ، لا في الخفاء ، وتحركها أيديولوجيات منحرفة تنمو منذ عقود . قد يراها البعض تغيراً مفاجئاً ، لكنني أعلم من تجربتي مع بروفييسور الـ UIC أنها لم تبدأ بالأمس . المؤسسات التعليمية ، التي كان يفترض أن تُشكل عقول الجيل القادم ، تم اختراقها من قبل فكر يحتقر المسيحية والقيم اليهودية-المسيحية ، ويقوض أسس الحرية والعقل والمسؤولية الفردية التي بُنيت عليها الحضارة الغربية .

## من الانحلال الثقافي إلى الانهيار الفكري

بالنسبة لنا نحن الذين هربنا من الاضطهاد ، ليس هذا مفاجئاً . بل هو تأكيد واقعي لاتجاه خطير يتطور منذ زمن . أقول هذا كشخص نشأ في الشرق الأوسط كمسيحي — شخص غالباً ما يُدهش من مدى الجهل عند من يهتفون شعارات لا يدركون معناها!

لقد واجهتُ معظم الأنظمة في الشرق الأوسط أزمات في السنوات الأخيرة ، وكثير منها انهار أو يوشك على الانهيار . ففي دول مثل مصر ، ليبيا ، لبنان ، سوريا ، تركيا ، وإيران ، نرى صراعات داخلية ، وانحلالاً أخلاقياً ، وتفككاً أيديولوجياً . الحكومات تستند إلى القمع . والمؤسسات الدينية منقسمة . وبدلاً من الإصلاح أو التوبة ، اختار كثيرون تصدير أزماتهم إلى الغرب ، أولاً إلى أوروبا ، ثم إلى أمريكا ، بينما أدرك آخرون أنه لا خيار سوى الإصلاح ، لذا بدأت موجة إصلاح في الخليج ، في السعودية ، الإمارات ، الكويت وغيرها .

هذا لم يعد نظرية — بل حقيقة . ما نشهده من احتجاجات جامعية لم يُنتج شيئاً جديداً ؛ بل كشف فقط ما كان يغلي تحت السطح منذ وقت طويل . هذه الاحتجاجات التي تُمجد الجماعات الإرهابية هي انعكاس لغزو فكري . هذا الفكر يتخفى خلف شعارات حقوق الإنسان والعدالة ، لكن ما وراء الستار هو أجنحة واحدة : إسكات المخالف ، شيطنة المسيحية واليهودية ، واستبدال الحرية بالخضوع .

وماذا وجد هذا الفكر في الغرب؟ جيل من الشباب ، ضائع روحياً ، بلا مرجعية أخلاقية ، وسهل التأثر بالتطرف . الجامعات التي كانت تُشكل العقول أصبحت اليوم غرف صدق للتوجهات الماركسية والنسبية وحتى الاصولية الإسلامية . ما أراه اليوم هو غزو روحي وفكري : لا بالدبابات ، بل بالكتب ؛ لا بالقنابل ، بل بالأفكار . الضحايا هم : الحقيقة ، الهوية ، والحرية .

هذا التيار "التقدمي" الذي يهيمن على الجامعات لم يظهر فجأة . بل نما بهدوء وعلى مدى عقود — بنخطة مدروسة ونتائج كارثية . في حالتي انا ، كانت البذور واضحة في نموذج ذاك البروفيسور . في جميع أنحاء البلاد ، يتكرر المشهد : يُعلم الطلاب أن يحتقروا الماضي ، ويكرهوا تراثهم ، ويُعيدوا تعريف الأخلاق ، ويهتفوا بما لا يفهمونه . يُقال لهم إن جميع الأديان متساوية — ما عدا المسيحية ؛ فهي قمعية . وكل الأمم معيبة — ما عدا أمريكا ؛ فهي شريفة بشكل فريد . الحقيقة نسبية ، والهوية متغيرة ، والحرية تعني ان تفعل ما تشاء .

## لماذا لا زلت أوّمن بأمريكا

كما أظهرت الأحداث الأخيرة ، هذا فكر أنتج تعاطفاً مع أيديولوجيات أنجبت جماعات مثل داعش . نعم ، أقول ذلك بوعي : كثير من المحتجين اليوم قد لا يحملون سلاحاً ، لكن سُمّ كلماتهم ، وتطرف أفكارهم ، واحتقارهم للحقيقة يُشبه تماماً ما رأيته من الفكر الجهادي الاصولي . واليوم ، ثمار هذا الانحلال الثقافي تفيض إلى الشوارع .

على عكس ما قاله بروفيسور UIC ، انا أؤمن بأن هذا البلد (أمريكا) حقاً مميزاً — ليس لأنه كامل ، بل لأنه تأسس على مبادئ تعكس حقائق انجيلية راسخة : الحرية ، وكرامة كل إنسان (بما فيهم الأجنة!) ، وحق الإيمان والعبادة والتعبير دون خوف . هذه ليست قيماً ثانوية ، بل مقدسة . ما نشهده من احتجاجات وعنف ليس عفويّاً — بل ثمرة حرب ثقافية طويلة شُنّت عبر مدارسنا ، وإعلامنا ، ومؤسساتنا .

هذه المقالة ليست نوبة غضب . بل هي نداء — دعوة لكل من لا زال يؤمن بالقيم اليهودية-المسيحية التي بُنيت عليها هذه الحضارة أن يستيقظ ويدرك اللحظة التي نعيشها . كشخص عاش تحت القمع ويرى الآن الحرية الغربية تتآكل ، أقول هذا بمحبة وبإلحاح أيضاً . يجب أن ندرك المعركة الثقافية ، والأهم ، الروحية ، التي على أبوابنا . يجب أن نتوقف عن إرسال أولادنا إلى المؤسسات التعليمية دون إعدادهم للثبات في الحق . يجب أن نتوقف عن إرسالهم دون تمييز إلى بيئات تعادي إيمانهم . يجب أن نتكلم بوضوح عندما تكون الحقيقة تحت الهجوم . يجب أن ندرك أن حقل الإرسالية اليوم هو داخل حدودنا . لا يجوز أن نصمت عندما تُعرض الأكاذيب كفضائل ، أو يُقدّم الكره كعدالة . ويجب أن نتذكر أن هذا البلد مميزاً ، لا بسبب اقتصادها أو جيشها أو نفوذها العالمي ، بل لأن مبادئ تأسيسها متأصلة في البر والعدل .



# Succession of Kingdoms/Empires that Controlled the Land of Israel

(All Dates Are AD Dates)

